

الحرب على الحجاب

صادق محمد الهادي

الحمد لله على آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أرضه وسمائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة إلى يوم لقائه، وسلم تسليماً.. أما بعد:
عباد الله:

إن الإسلام جاء مكملاً لمكارم الأخلاق، ومنادياً بالبُعد عما يثير الغرائز، ويحرك الشهوات، وذلك من أجل إصلاح البشرية، والسمو بها عن مرحلة البهيمية والفوضى إلى درجة عالية من العفة والطهارة، قال عليه الصلاة والسلام: **(إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق)**^(١).
ولأن الغرائز والشهوات الطبيعية جزء أساسي من تكوين الإنسان، فقد عمل الإسلام على ضبطها وتوجيهها التوجيه السليم، فشرع الزواج الوسيلة الوحيدة لإشباع الغرائز والشهوات، وإنشاء الأسرة التي هي النواة للمجتمع الإسلامي.

ولأن النفس أمارة بالسوء، فقد حرم الإسلام كل ما يمكن أن يؤدي إلى إثارة غرائز الإنسان، أو تهيج شهواته، ولهذا جاء الأمر الرباني للمسلمين بأن يعضوا من أبصارهم، وأمر المسلمات بارتداء الحجاب، يحفظن به أنفسهن، وحرّم عليهن التبرج والسفور، ومخالطة الرجال غير المحارم، قال تعالى: **{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [سورة النور].

ولأن أمر الحجاب في الإسلام عظيم، فقد جاء الأمر الرباني للنبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - بأن يأمر أزواجه وبناته قبل نساء المؤمنين بارتداء الحجاب، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}** فإذا كان الأمر بالحجاب قد بدأ بأزواج النبي - صلى الله عليه

^١ - مسند أحمد - (ج ١٨ / ص ١٣٧ - ١٥٩٥) تحقيق الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٣٤٩ في صحيح الجامع.

وسلم - وهن العفيفات الشريفات الطاهرات فكيف ببقية نساء المؤمنين وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن وصار فيه الدين غريباً؟! من أجل ذلك توعدّ الله - عز وجل - المتبرجات المظهرات لزينتهن لغير أزواجهن بالعذاب الأليم يوم القيامة^(٢).

قال - صلى الله عليه وسلم - في وصف أهل النار: (صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)^(٣).

والتبرج هو أن تظهر المرأة زينتها لغير محارمها، وهو من الأمور المحرمة في الإسلام؛ لأن المقصود منه هو إثارة شهوات الرجال من غير الأزواج فتحدث الفتنة في المجتمع. أما الحجاب فهو نقيض التبرج ويُقصد به الستر والإخفاء، ومنه حاجب العين الذي يمنع عنها الغبار والأتربة وأشعة الشمس وحاجب الملوك أو الرؤساء والذي يمنع عنهم الدخلاء والمتطفلين والمتسكعين.

وتقتضي فطرة الإنسان العفة والطهارة، ولذلك نجد أن إبليس اللعين عندما أغوى آدم عليه السلام وزوجه بالأكل من الشجرة المحرمة وتم له ما أراد، سقطت عنهما ثيابهما وبدت لهما عورتاهما فأخذا يأخذان من أوراق الشجر ليخفياهما، وذلك التصرف الطبيعي والتلقائي الذي قاما به من دون أن يأمرهما به أحد يدل على أن الأصل في الفطرة البشرية العفة والطهارة وإخفاء العورات.

قال سبحانه وتعالى: {فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأعراف: ٢٢].

كانت النساء قبل الإسلام وفي عهد الجاهلية يتبرجن ويلبسن الملابس الخفيفة ويمشين في الأسواق ويعرضن أنفسهن على الرجال، لذلك جاء الأمر من عند الله لنساء المسلمين بارتداء الحجاب، قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣].

^٢ - <http://www.aldorr.com/modules.php?name=News&file=article&si=25>

^٣ - صحيح مسلم - (ج ١١ / ص ٥٩ - ٣٩٧١)

أما اليوم فقد تفتنت النساء في ابتداع أساليب جديدة من التبرج والسفور، وصارت المصانع الغربية تمد بلاد المسلمين بالملابس الضيقة الشفافة التي تكشف أكثر مما تستر، وتزيد من مفاتن النساء.

وغمرت هذه المصانع أسواق المسلمين بأنواع المساحيق والطلاء والطور الكثيرة المثيرة للشهوات، وأنواع شتى من الأحذية التي تجعل النساء يتمايلن في مشيهن، ويبالغن في التغنج والدلال. كما قيل:

وجوه الغانيات بلا نقاب تصيد الصيد بشرك العيون
إذا برزت فتاة الخدر حسرى تقود ذوي العقول إلى الجنون

وكما قيل:

ذبلت أزاهير العفاف وسعرت في الحرب نار للهوى شعواء
عجبا لمن صبغوا الوجوه بأحمر إذ ليس في تلك الوجوه حياء

أيها المسلمون:

إن الحملة الشرسة على الحجاب كأحد المظاهر الإسلامية تأتي في إطار حملة أوسع للحرب على الإسلام؛ إذ أكد أن هذا الموقف من الحجاب ليس جديداً، بل هو جزء من الحرب على الإسلام التي بدأت، إنها حرب شريرة فاجرة على الإسلام وقيمه وتعاليمه، خدمة للمشاريع التغريبية الصهيونية التي تعمل ليل نهار على تذويب هوية المسلمين، وإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم. {وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]..

إن الحرب ضد الحجاب عباد الله قديمة بدأت في مصر منذ أكثر من مائة عام؛ حيث ظهر أول صوت من أعداء الإسلام، وأنصار التغريب ضد حجاب المرأة المسلمة، ومنذ ذلك الحين لم تهدأ المعركة التي اشتعلت نيرانها في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي، بل وغير الإسلامي. وكانت أول شرارة في تلك المعركة من الجانب التغريبي في مصر من صديق اللورد كرومر (مرقص فهمي) في كتابه المرأة في الشرق عام ١٨٩٤م، ولكنها لم تحدث أثراً كالطلقة التي أطلقها قاسم أمين في كتابه المسمى (تحرير المرأة) عام ١٨٩٩م؛ وذلك بعد عودته من إتمام دراسته في فرنسا.

وعندما بدأت مظاهر الصحوة الإسلامية تظهر في العديد من بلدان العالم، وانتشر الحجاب في بلاد المسلمين، ووسط بناتهم في الدول الغربية هاج الغرب الكافر وماج، وتجاوب معه بعض أنصار الرذيلة ودعاة الفجور في البلاد الإسلامية، وبدأوا في محاربة الحجاب الإسلامي حرباً شعواء لا هوادة فيها، ووصفوا الحجاب بأنه يغطي على عقل المرأة وأنه جزء من اضطهاد الإسلام لها ونعتوا المحجبات بنعوت لا تليق ورموهن بالتخلف والرجعية والاستسلام لسطوة الرجل وغيرها مما ينعق به الناعقون.

وعندما تأكد لهم أن الحجاب الإسلامي أصبح مطلباً شعبياً، وأنه أخذ في الانتشار وسط نساء المسلمين أعلنوا الحرب عليه، وخلال الفترة الماضية قامت العديد من الدول الغربية بشن حملة ضارية على الحجاب في المدارس ودواوين الحكومة.

ولكن هل وقفت الحرب ضد الحجاب بعد مرور أكثر من مائة عام؟ المؤكد أنها لم تقف وإن كانت انتشرت في أماكن كثيرة في العالم الإسلامي بصور شتى؛ ففي تركيا أرض الخلافة الإسلامية العثمانية سابقاً كانت هناك معركة من الدولة ضد الحجاب في الجامعات، بل وضد نائبة في البرلمان بسبب ارتدائها الحجاب، وفي تونس حرب متنوعة ضد الحجاب والمرأة المسلمة بأشكال متنوعة وسافرة^(٤).

وبقي أن نعرف - أيها المسلمون - أن الحرب ضد الحجاب مظهر من مظاهر الصراع ضد الإسلام بأشكال وأنماط مختلفة ومتنوعة.

ولقد اتخذت هذه الحملة الخبيثة أشكالاً عديدة، فمرة تسمع من يقول إن الحجاب يعزل المرأة عن شرائح المجتمع، ويحرمها من دورها، وظهر من يدعو إلى تحرير المرأة وغيرها من دعاوى الساقطة، ونسى هؤلاء الذين لا هم لهم إلا تحرير المرأة من قيمها واحترامها لنفسها أن الإسلام ما شرع الحجاب إلا صوناً للمرأة المسلمة وتكريماً لها وإعلاءً لقدرها وتقديراً لدورها في المجتمع، إذ أن المرأة المحجبة تكون بمنأى عن مشاكسات الذئاب البشرية ومصانة ممن لا يريدون لها إلا أن تكون متاعاً ومكاناً لتفريغ الشهوات.

وعندما يشعر هؤلاء أن ما ساقوه من حجج يتساقط من تلقاء نفسه نسبة لضعفه وعدم موضوعيته نجدهم يلجئون إلى الاستشهاد برأي بعض من يتدثرون برداء الدين من المستغربين والماركسيين وذوي المصالح الخاصة على أنهم من العلماء المسلمين، فيلون لهم أعناق الحقائق ويستشهدون بأدلة ليست في مكانها، ويفسرون الأحكام الإسلامية حسب هواهم متوهمين أن هذه الافتراءات سوف تتطلي على الأمة الإسلامية، وما دروا أن علماء الأمة الأماء على دينها واقفون لهم بالمرصاد مفنديين حججهم ودعاواهم.

ولكن يبقى أصحاب القلوب المطمئنة العامرة بالإيمان على يقين بأن العاصفة سوف تزول وأن سحب التشكيك سوف تتقشع عما قريب وأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله،،